

## مكانة الإنسان في المشروع الحضاري لعلي شريعتي

## The status of man in the civilizational project of Ali Shariati

الدكتور: عبد السلام بوزابرا

Dr : Abdeslem bouzabra

جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)، [abdeslem.bouzabra@univ-msila.dz](mailto:abdeslem.bouzabra@univ-msila.dz)

تاريخ النشر: 2024/05/16

تاريخ القبول: 2023/01/29

تاريخ الاستلام: 2023/09/03

**الملخص:**

تتمحور هذه الدراسة حول موقع الإنسان ودوره في التغيير الحضاري عند المفكر الإيراني علي شريعتي. فإذا كانت الحداثة الغربية قد أقامت بناءها الفكري على الإطاحة بالإله وإحلال الإنسان محله مما أفضى إلى تقديس الإنسان. وإذا كانت الأديان والمذاهب الفلسفية القديمة قد قللت من شأن الإنسان وقدمته قربا للآلهة وجعلته في موضع العبد الخاضع لإرادتها. فإن هناك رؤية ثالثة تنهض بالإنسان ويمثلها الإسلام، الذي لا يعد الإنسان بمرتبة الإله يفعل ما يحلو له، ولا عبدا ذليلا لا يملك من أمره وشأنه شيئا، وإنما هو خليفة الله في الأرض. وقد تأثر المفكرون المسلمون المعاصرون بهذه الرؤية القرآنية وقدموا شروحاتهم لها، منها رؤية علي شريعتي الذي فصل في قضية الإنسان وعلاقته بالكون وموقعه في صناعة الفعل الحضاري.

**كلمات مفتاحية:** شريعتي، الإنسان، الإسلام، الإصلاح، الحضارة، الذات.

**Abstract**

This study focuses on the position of man and his role in civilizational change according to the Iranian thinker Ali Shariati. So if Western modernity had based its project on overthrowing God and replacing him with man, which led to the sanctification of man. And if the ancient religions and philosophical doctrines have belittled man and placed him in the position of a slave subject to their will. There is a third vision that promotes man and is represented by Islam, which does not promise man the rank of God, nor a slave who does not have control over his affairs, but rather he is God's vicegerent in the earth. Contemporary Muslim thinkers were influenced by this Quranic vision and provided explanations for it, including the vision of Ali Shariati, who analyzed the issue of man and his position in the making of civilized action.

**Keywords:** Shariati, Human, Islam, reform, civilization, self.

المؤلف المرسل: د. بوزابرا عبد السلام، الإيميل: [abdeslem.bouzabra@univ-msila.dz](mailto:abdeslem.bouzabra@univ-msila.dz)

كل المشاريع الحضارية التي عرفتها البشرية عبر تاريخها الطويل - خصوصا الشرقية منها - تجعل من الإنسان غايتها القصوى والأولى، وذلك من خلال تلبية حاجياته واحتياجاته المادية والمعنوية، ومؤسسة على المبادئ والقيم الأخلاقية. على خلاف المشروع الحضاري الغربي في طوره الحديث والمعاصر الذي أفرغ المشروع الحضاري من أبعاده الإنسانية بسبب طغيان النزعة المادية الخالصة - الإنسان ذو البعد الواحد - مما خلق العديد من الأزمات النفسية والاجتماعية التي جعلت الإنسان بلا هوية، ويتخبط في مشاكل عدة من بينها الاغتراب، النزعة الاستهلاكية المحضة، فقدان القيم لثباتها وقدسيتها... فواقع الإنسانية اليوم في ظل الحضارة الغربية، فاقدة لمعانيها وقيمها، بسبب انحراف الحضارة الغربية عن القيم الإنسانية التي بشرت بها في بداية العصور الحديثة، واستحال وضع الإنسان من كائن هو غاية في ذاته، صانع لحضارة جوهرها القيم الإنسانية، إلى مجرد كائن وسيلي براغماتي يسعى إلى بناء حضارة لا ينشد من خلالها سوى تحقيق أكبر قدر ممكن من المنافع الخاصة. لذا عادت مسألة الإنسان كإشكالية تُطرح للنقاش وبأكثر عمق، فظهرت الأطروحات الفكرية، وتعددت المشاريع حضارية التي كان هدفها الأول هو تحقيق معنى الإنسانية من خلال خلق نموذج ينبني على تقديس الهوية واحتواء الذات الإنسانية بمختلف أبعاده الروحية والمادية، ويتأسس على ثبات منظومة القيم عبر الزمان والمكان. ومن بين المفكرين الذين أسهموا في هذا المجال المفكر الإيراني علي شرّيعتي (1933-1977) الذي يركز في مختلف مؤلفاته على الإنسان أو الذات الإنسانية، حيث أعطى لهذه الأخيرة أهمية كبيرة واعتبرها أساسا في بناء الحضارة فهو يدرك وبشكل كبير أن أي تغيير اجتماعي أو تمكين حضاري على الصعيد الفردي أو الاجتماعي أو حتى العلمي إن صح القول تصنعه الذات الإنسانية، وهذا متوقف على مدى توفر الوعي، وأدراك الإنسانية لحجم مسؤوليتها. كما يلاحظ مدى عمق فكره الذي سعى من خلاله بلوغ الإنسانية الحقّة والحياة الكريمة للإنسان، هذا لأن شرّيعتي يؤمن بأصالة الإنسان، إذ يعتبر الإنسان مسؤول عن مصيره، فهو المسؤول عن تقدمه أو تخلفه بفضل ما وهبه الله من وعي وإرادة. ومن هنا كرس جل أبحاثه للبحث في الإنسان وسبل تحريره من السجون التي تكبل إرادته وتمنعه من أداء رسالته الحضارية، إذن فهيكلة شرّيعتي للإنسان جاءت في إطار رؤية نقدية لكل المذاهب التي همشت الإنسان والمشكلة التي يمكن طرحها: كيف شكلت مقولة الإنسان أهم المرتكزات التي انطلق منها شرّيعتي في مشروعه الحضاري؟

بداية يجب التأكيد على أن علي شريعتي من بين المفكرين الذين أسهموا في التأسيس لمنهجية نقدية لثقافة وحضارة الغرب ، فالمتأمل في العصر الذي عايشه شريعتي يجد مجموعة من الأسباب البارزة وجملة من الدواعي الخفية التي دفعته إلى الثورة على الأوضاع القائمة والرغبة في تحرير الإرادة الإنسانية من أجل تحقيق مستقبل زاهر يليق بالإنسان نفسه ويعطيه الحرية والمكانة التي من خلالها تستطيع الذات القيام بالدور الحضاري والإسهام في تغيير اجتماعي وثقافي يمكن الفرد من إدارة دولاب الحضارة والنهوض بالمجتمع الإسلامي الذي لازال يتخبط في مشكلة النهضة. لذا نجد أن شريعتي في مجمل مشروعه الحضاري يركز بشكل كبير على الذات الإنسانية كونها هي السبيل لصناعة حضارة راقية وقوية. فالإنسان هو رأس مال كل إصلاح مجتمعي ومختلف القطاعات، فكلما ارتفعت مكانته وارتقت روحه إلى معنى الإنسانية الحقيقي، استطاعت ان تحدث ثورة وتجر الطاقة الكامنة من أجل تحريك عجلة الحضارة، حتى تكون في ارقى درجات ازدهارها ورفقيها، فنجد بأن أي مشكلة واجتها حضارة ما، مردها لمشكلة أساسية وهي مشكلة الإنسان يقول شريعتي: " كل يوم وبالقدر الذي نتضح فيه حقيقة الحياة أكثر فتدثر، وتتسع سلطة الإنسان على مظاهر الكون وتسخرها لخدمته، ويتم تذييل العبقات أكثر فأكثر، فإن هذه المشكلة تضحي أكثر تعقيدا وأكثر إبهاما بل وحتى تظهر بصورة فاجعة هذه المشكلة هي مشكلة الإنسان نفسه." (شريعتي، الإنسان والإسلام، 2006، صفحة 140)

لذا ينطلق شريعتي في مشروعه الحضاري من بناء الإنسان ليصل إلى بناء الحضارة، وهي ميزة تعرب عن عمق الطرح، ووضوح الرؤية، باعتبار الإنسان هو الركيزة الأساسية في عملية التغيير الحضاري، كونه يختلف عن باقي الموجودات لأنه يحتوي على جانبين مادي ويمثله البدن وبينته ووظائف أعضائه أي الجانب البيولوجي الحيوي وجانب روحي ويمثل النفس ويشمل الفكر والشعور والإحساس... الخ. وشريعتي يوجز تعريف للإنسان في العبارة التالية " إن الإنسان يمثل إرادة كاملة لا تنتهي ويمثل الرفض، ويسعى لامتلاك الفكر والطلب المطلق وهو صاحب معرفة ذاتية عن نفسه وعن الكون وهو متعصب وكل من يمتلك العصبية فهو ليس إنسانا وأيضا هناك الكثير من المتعصبين ولكنهم ليسوا أناسا وذلك الذين يطلقون عليه التعصب فهو شيء آخر ويقولون إنه ليس جيدا" (شريعتي، 2008، صفحة 556). إن هذا التعريف الذي أورده علي شريعتي يتضمن الأبعاد الإنسانية التي يسعى لإثباتها صدا للتهميش الذي ألحقته المذاهب والأديان بالإنسان قديما ،فالإنسان صاحب الاختيار والحرية يولدان المسؤولية والإنسان عبارة عن عقيدة العبادة التي هي في الأصل صفة الإنسان فالإنسان حيوان ناطق معتقد لأنه بسبب عقيدته وأهدافه يضحى بروحه وهذا ما يريد شريعتي تحقيقه أي الإنسان المثالي.

إن نظرة شريعتي للإنسان مستوحاة من النظرة التي عني بها القرآن الكريم ونص عليها الإسلام فيما يتعلق بنظرتهم للإنسان والمجتمع . فهذا الأخير يجري على ضوء سنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل وليس بميسورنا سوى أن نكشف هذه السنن والقوانين، الخطاب الإسلامي موجة دائما للناس، ومن ذلك يعلم أنه يعتبر الناس أساس المجتمع ومبدأ وجوده، ألن الإنسان هو " كائن مسؤول عن مصيره، بل ليس مسؤولاً عن مصيره فقط وإنما مسؤول عن أداء رسالة الله في العالم، وهو حامل الأمانة في الكون والطبيعة، فهو قد تعلم الأسماء، والأسماء معناها الصحيح في رأيي الحقائق العلمية المختلفة، لأن الإسم علامة كل شيء، أي الوجه المشخص لكل مفهوم، وعليه فإن تعليم الأسماء لآدم . من قبل الله . يعين إدراك وفهم الحقائق العلمية والقابلية التامة لفهم المعاني الموجودة في العالم" (شريعتي، الإنسان والإسلام، 2006، الصفحات 24-25) وتجدر الإشارة إلى أن شريعتي قد قام بصياغة رؤيته الحضارية وفق المفهوم الإنساني ، وهذا من خلال مجموعة من الآليات التي تُؤهل الإنسان لصناعة الحضارة .

**2- الهيكلية الدينية للإنسان:** إن شريعتي في ظل سعيه لتخليص الذات الإنسانية من إفرازات المذاهب القديمة بالإضافة إلى إفرازات الحضارات والمذاهب الغربية المعاصرة وما ألقته من استعمار واستبداد وتحطيم وتشويه أدى بدوره إلى محو شخصية الإنسان بالكامل، عالج شريعتي هذه القضية من عدة جوانب مختلفة كالجانب الديني والنفسي والثقافي... لذلك انطلق من الدين كمرتكز أساسي تبرز فيه مكانة الإنسان في الإسلام. فمالك بن نبي مثلا يعرف الدين بقوله " هو قانون من قوانين الله عز وجلّ التي فطرت عليها النفس فضلا عن أنه يغذي الجذور النفسية العامة، فإنه يتدخل مباشرة في العناصر التي تكون الأنا الواعية في الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تصنفها الغرائز في خدمة الأنا" (الحسن، 1999، صفحة 96) ، هنا مالك بن نبي يرى أن الدين يلعب دور كبير في بناء الشخص سواء من ناحية جذوره النفسية أم علاقاته مع المجتمع الذي يعتبر عنصرا فاعلا . وتكاد تكون نفس الفكرة لدى علي شريعتي في تعريفه للدين في عدة محطات وأهمها " الدين وليد العوامل الطبيعية مثل الجهل والخوف، فهو لا يكون وليد العوامل الاقتصادية أو الاجتماعية بل أنه مرتبط بفطرة الإنسان وفي خلاياه وأبعاده الروحية يمتلك مكانا خاصا " (شريعتي، 2008، صفحة 218)

ينبني الدين عند علي شريعتي على جانبين أولهما: الجانب الروحي الذي يوجد داخل الإنسان والجانب الثاني هو الواقعي الذي يرتبط بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية أي الخارجية الموجودة في الواقع أي أن حقيقة الدين تكمن في ذات الإنسان وفطرته كوجدان خاص. وهذا على حد تعبير مونتيكيو " إن هناك في داخل وجدان الإنسان حفرة خالية يجب أن تملأ بحقائق ما وراء الحياة المادية المحدودة تلك الحقائق التي تخرج من الإنسان من

هذه الحياة والطبيعة المغلقة وهذه الحفرة الخالية والزاوية المخيفة إن لم تملأ بالحقائق العالية والبناء والواضحة فإن روح وقلب الإنسان سوف يملأ بالخرافات وتبقى الحفرة خالية من النور" (شريعتي، 2008، صفحة 234) والحقيقة التي تملأ هذا الفراغ هي الدين. ويميز شريعتي في الدين بمتقابلين تربط بينهما علاقة جدلية:

- دين التوحيد ودين الشرك: على عكس أطروحة "دافيد هيوم" التي ترى بأن بداية الرؤية الدينية هي الشرك، يرى شريعتي بأن التوحيد هو بداية الرؤية الدينية في التاريخ معبرا عن هذا بقوله "إن دين التوحيد القائم على الوعي والبصيرة وعلى الحب وعلى حاجة البشر التي هي حاجة فطرية فلسفية، هذا الدين هو عامل اجتماعي بناء يعمل على تبرير وحدة البشر والوحدة الطبقيّة والعرقية والوحدة الوجودية بمعنى نظام العالم، التآلف بين العناصر كافة ووحدة اتجاه مصير الإنسان وقوى ما وراء الطبيعة" (راد و رضائي، 2009، صفحة 226) . أما دين الشرك فهو ذات طبيعة انحرافية بدأ منذ تحول نظام المساواة في تاريخ البشر إلى نظام اللامساواة والتفرقة ودين الشرك على نوعين شرك ظاهر وهو المعلوم له أصنام وآلهة متعددة، والآخر شرك باطن مستتر في لباس التوحيد وهو الذي يسعى أنبياء التوحيد أنفسهم لتحطيمه.

- الدين الإيديولوجي والدين التقليدي: شريعتي يعتقد بوجود مرحلتين الأولى هي مرحلة الدين الإيديولوجي والثانية هي المرحلة التي تحول فيها إلى تراث محلي قومي أو اجتماعي.

- دين ما دون العلم ودين ما فوق العلم: من جهة أخرى ينقسم الدين إلى قسمين: دين ما دون العلم: وهو الذي يحدد الإنسان ضمن قوالب قديمة وضيقة. ودين ما فوق العلم: وهو الذي يمنح الإنسان نظرة شمولية رحبة وواسعة عن المحسوسات.

يجعل شريعتي من "مسألة الخلق" منطلقا لمناقشة ماهية الإنسان ويعدها رمزا على مقام الإنسان في الإسلام، وهو يذكرنا بأن مسألة الخلق قد أوردها القرآن الكريم بلغة رمزية تحمل إشارات ورموز ضمنية فاللغة الرمزية هي لغة متعددة الجوانب والأبعاد حتى يمكن استخلاص معانيها المتعددة جيلا بعد جيل، فلا تفنى معانيها ولا ينضب ما يستخلص منها، وهو ما يتلائم مع الحقيقة الدينية التي هي ثابتة ومتجددة في آن. إن في نظرية الإنسان (أومانيسم) فالإنسان هو الأصل وليس من الضروري أن يجعل من نفسه نسخة من الخالق لأن الإنسان هو مجموعة من القيم وهي التعالي والأخلاق والجمال والحسن لهذا نرى أن أومانيسم تعطي الأصالة للإنسان مقابل الخالق وتجعل له قيما مستقلة ومثخنة" (شريعتي، 2008، صفحة 318) وللتعرف على موقف الإسلام من الإنسان كمبدأ أو غاية أو بالأحرى التعرف على مفهوم الأديان لأصالة الإنسان (أومانيسم) أو كيف تفهم الأديان

الإنسان، يبحث شريعتي عن مفهوم وماهية الإنسان في إشكالية الخلق فكيف تم خلق الإنسان من وجهة نظر الإسلام.؟

\* - الإنسان خليفة الله : في البدء يقول الله عز وجل لملائكته " إِيَّا جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً " سورة البقرة، الآية 30. لاحظوا بدقة مكانة الإنسان في الإسلام كم هي عظيمة، حيث يرى شريعتي "أنه حتى نظرية أصلية الإنسان (أومانيسم) لأوروبا أو أومانيسم ما بعد عصر النهضة لم تفترض للإنسان هكذا قدسية وعظمة وسمو ورفعة، فأول ميزة للإنسان هو أنه خليفة الله في الأرض" (قاسم، 2010، صفحة 211). إن استخلاف الله للإنسان في الأرض يشتمل على أسماء آلاء التكريم، فالاستخلاف المقصود به تكليف من الله للبشر بعمارة الأرض والإصلاح فيها، أي تحميله جملة من المسؤولية والحرية والإخلاص له، والتلاؤم مع نواحيه وتطبيق ما أمر به من شرائع. وبعدئذ خلق الله الإنسان، خلقه في الأرض أي من تراب الأرض المتعفن أليس من المفروض أن يختار له أفضل مادة وأحسن عنصر إلا أننا نرى العكس اختار أحسن وأحط عنصر في الأرض من طين مترسب أو من صلصال ثم نفخ روحه في هذا الصلصال ووجد الإنسان

بناء على هذا فالإنسان خلق من طين (الوحد) ومن روح الله وهذا يعني أنه موجود ذو بعدين "أي بعد يميل إلى التراب والاحتطاط والترسب مثل الطين المترسب في قاع البحار والأنهار والبعث الآخر أي روح الله يميل إلى التعالي بعكس البعد الأول ينتجه إلى السمو إلى أعلى قيمة في الوجود أي الله" (شريعتي، الإنسان والإسلام، 2006، صفحة 18)، ومن هنا يبدأ الصراع والتجاذب بين هذين القطبين والإنسان بإرادته يختار أحدهما ويقرر مصيره.

\* - الإنسان حامل الأمانة : الأمر الآخر العجيب في قصة خلق آدم هو أن الله تعالى أعطى للإنسان أفضلية أخرى وسراً آخر لعظمته، وهو أنه حامل لأمانة الله، ولكن ما هي هذه الأمانة؟ لقد عبر القرآن الكريم عن التكليف الذي حملة الإنسان بالأمانة وذلك في قوله تعالى " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا". سورة الأحزاب، الآية 72. لأن الأمانة هي الحفاظ على ما عهد به ورعيه والحذر من الإخلال به سهواً أو تقصيراً والتكليف هو تحميل للأوامر والنواهي بطلب رعايتها، وذلك بأدائها على وجهها الذي حملت به كما هو مثلما يطلب في الأمانة أن يؤدي المعهود به على وجهه كما هو.

\* - تعليم آدم الأسماء: ومن ثم يقول سبحانه وتعالى "وعلم آدم الأسماء كلها" ثم يعلم الله الإنسان الأسماء كلها، ثم تسأل الملائكة: أننا مخلوقون من نور وهذا الإنسان من طين مترسب، فكيف تفضله علينا ونحن نسبح ونقدس لك؟

فيقول "إنني أعلم مالا تعلمون" ويقول لهم "اسجدوا" وهذا هو معنى أصالة الإنسان فهل يمكن أن نعرف عظمة للإنسان إلى هذا الحد إلى درجة أن الملائكة التي يتفوق عنصرها عن آدم ومع ذلك فهي تسجد له. (شريعتي، الإنسان والإسلام، 2006، صفحة 24).

إن نظرية أصالة الإنسان وفلسفة الخلق على وجه الخصوص تبين لنا مفهوم الأديان للإنسان وتبين مكانة الإنسان في الإسلام حيث أنه خليفة الله في الأرض وحامل أمانته إضافة إلى هذا كله يرى شريعتي بأن الدين أعطى للإنسان مكانة السمو والعلو أعطاه الحرية والإرادة والاختيار "إن الدين جاء لخدمة الإنسان، لا لتسخيره وإذلاله وجعله مخلوقا مسلوب الإرادة، أنه يتمسك بالدين سلاحا بيد الإنسان في صراعه الاجتماعي وصراعه ضد الطبيعة، وكفاحه أيضا من أجل صيانة إنسانيته التي تتعرض لعملية المسخ وتشويه متواصلة، بسبب انحطاط الثقافة الغربية من جهة وبسبب المفهوم الرسمي السائد للدين الذي يكبل الإنسان ويقمعه من جهة أخرى" (رسول، 1987، صفحة 35). إن شريعتي يريد أن ينفخ روح الله من جديد في الإنسان ليجعله كلي الإرادة كما ويهدف إلى القضاء على المسخ الذي ألحقته الأديان والمذاهب القديمة بشخصية الإنسان وإعادة الاعتبار للإنسان فالتمتعن في فلسفة الخلق يجد أن الإنسان ذات مكانة رفيعة وصاحب إرادة وحرية ومسؤولية في أن واحد في بناء شخصيته ومعايشته للواقع.

والهيكله الدينية للإنسان عند علي شريعتي لا تتحقق غاياتها إلا بربطها بعملية الإصلاح الديني، أي أن الحاجة ماسة إلى إصلاح عميق دين سليم وكذا الحاجة إلى إحياء الإسلام والعودة إلى منابعه الأصلية، التي ابتعدنا عنها مدة أربعة عشر قرنا، أي تنقية الدين من العناصر الخارجية التي علقته به. إن الإصلاح بمفهومه العام يعني التجديد وهذه العبارة ترتبط بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها" أما الإصلاح الديني عند شريعتي "الإصلاح الديني بمعنى النهضة الإسلامية عن طريق النضال ضد الخرافات والجمود والاستعمار والاستعمار والرجعية والتعصب الأعمى، والمصلحة التطبيقية والصنافية، والرفض لكل ما يطرح باسم الإسلام والتشيع" (قاسم، 2010، صفحة 178). المقصود بهذا الإصلاح حسب شريعتي هو التجدد المرادف للتحديث الديني وعند القول بالإصلاح الديني ليس المقصود به إعادة النظر في الدين بل إعادة النظر في منظورنا وطريقة فهمنا لهذا الدين وإرجاعه للصورة التي برز عنها وتخليصه من كل شوائب الانحرافات والخرافات "نهضة إسلامية من أجل تحرير الدين من سيطرة الاستبداد الفكري والمعنوي والعودة إلى منابع الثورة الإسلامية الأصلية وبناء حركة فكرية واجتماعية شعبية على أساس القرآن والسنة في ضوء تعاليم

أهل البيت تتلخص في شعارين قيادة اجتماعية وعدالة طبقية" (شريعتي، الأمة والإمامة، 2006، صفحة 17) . فالعودة للإسلام تتبني على فهمه اجتماعيا وسياسيا لأن الإسلام أو الدين الإسلامي هو دين اجتماعي سياسي لا علمي أو صوفي أو فلسفي.

إن مشروع علي شريعتي الإصلاحية يقوم على أساس العودة إلى الإسلام وتنقيته مما طرأ عليه شأنه شأن باقي الإصلاحيين كجمال الدين الأفغاني في صرخته في ديار المسلمين لمراجعة الدين قائلا "إننا في العالم الإسلامي ينبغي أن نعيد النظر في كل شيء وأن نعيد فهم ما فهمنا لا من جديد فليس من المعقول أن تكون أحوال العالم الإسلامي بهذا القدر من التدهور ثم يمكن أن تكون أفكاره سليمة وغير متدهورة وغير مقلوبة أيضا" (الجبران، 2002، الصفحات 33-34). والطرح نفسه نجده عند محمد إقبال، خرج أيضا مشروعه "تجديد التفكير الإسلامي" في نطاق مقولته "على المسلم اليوم أن يعيد النظر في الإسلام، التراث البشري من دون انقطاع عن الماضي" (الجبران، 2002، صفحة 35) . إن شريعتي في مشروعه الإصلاحية يهدف إلى العودة للذات أي الذات التي حاصرتها التأويلات والانحرافات عن الدين وبناء إيديولوجية علمية وإيمانية واعية "مع فارق الكثافة الإصلاحية التي تميز بها شريعتي في مفاصل العودة من جهة وعلمية المنهج وتأسيساته من جهة بالإضافة إلى شقين آخرين، أولهما: معطى التجديد، والثاني: كشف التزوير وزلزلت الثوابت الوهمية بحيث كان أجراً الإصلاحيين في آلية الموروث السائد وأكثرهم شمولاً في الوقوف على تلك المهاوي" (شريعتي، النباهة والاستحمار، 2004، صفحة 45) والعودة التي تجسد مشروع شريعتي الإصلاحية هي "العودة الغربية".

كما أن الهيكلية الدينية عن علي شريعتي تتأسس على العودة إلى الذات الإسلامية إذ اعتبر شريعتي هذه القضية من قضاياها الأساسية بعد عودته إلى إيران وتطرق إليها بوصفه مفكراً مسؤولاً ينهض بواجبه اتجاه مجتمعه. لقد تأثر شريعتي في أطروحته العودة إلى الذات بالاتجاهات الراديكالية أمثال فرانز فانون وإيما سيزار في أمريكا اللاتينية ، وجاء طرح قضية العودة إلى الذات عند هؤلاء حسب شريعتي " بعد أن أخرج الغرب كل البشر من قواعدهم الذاتية، ومن قدرتهم على التوالد الذاتي والانفعال الداخلي وجعلهم في صورة عبيد أذلاء ضعفاء، ملتصقين ومقلدين" (شريعتي، العودة إلى الذات، 2011، صفحة 57) . وهذا يعني أن طرح قضية العودة إلى الذات جاء في سياق نقد الغرب ورفض التبعية له، ومثلت موقفاً نقدياً شديداً الصرامة اتجاه الغرب والهيمنة الغربية وإثبات وجود الذات وتأكيد المغايرة عن الغرب وهنا تكمن الحاجة إلى العودة للذات "فشرط الإصلاح والتجديد وأساس التغيير ليس اقتباس الجديد من الغير واستيراده بل تفجير الطاقات والقوى الكامنة في الذات لتتحرك وتصنع عالماً جديداً من



الديمقراطية الروحية والسمو الروحي، هذا العالم الجديد يخترق العالم الخارجي وينظم العلاقات المتبادلة بين الإنسان والله والكون، ذلك هو التاريخ والحضارة والإنسانية في سموها" (بويكر، 2011، صفحة 75). لقد قدم شريعتي نقداً لأربعة تيارات كانت سائدة في عصره هي: الماركسية والتيار الحداثي الغربي والتيار القومي الذي يدعو إلى الذات الإيرانية قبل الإسلام والتيار الديني التقليدي وهذه التيارات حاولت أن تقطع الأمة بصور مختلفة عن ذاتها الإسلامية الحية، فهدف شريعتي الرجوع إلى هذه الذات "إن العودة إلى الذات هي العودة إلى الذات الموجودة في قلب المجتمع وفي وجدانه والتي تمثل له منبع الطاقة والحياة والحركة، لكن الذي صرفنا عن هذه الذات هو الجهل والخوف والانقطاع عن النفس والانجذاب إلى ذوات أخرى مجهولة، وهذه الذوات الموجودة في نظر علي شريعتي في قلب المجتمع ووجدانه هي الذات الإسلامية (شريعتي، العودة إلى الذات، 2011، صفحة 64).

وشريعتي عندما قال بالعودة إلى الذات الإسلامية لم يكن يقصد الإسلام كتقليد أو وراثته أو نظام عقيدة موجود بالفعل في المجتمع بل الإسلام كإيديولوجيا وإيمان وبعث الوعي وأحدث المعجزة في هذه المجتمعات أي الإسلام المعدّل الذي لحقه الإصلاح وأعيد فيه النظر بوعي "إن استناد شريعتي إلى الإسلام يتجاوز حدود الالتزام بالدين كإيمان وكمراسم عبادة ويتجاوز أيضاً كونه يمثل هوية الإنسان المسلم وانتماءه بل إنه حاول أن ينظر لإيديولوجيا إسلامية من منظور شامل واثقا بأن نظرة معينة للعالم، تقود إلى مواقف فكرية وسياسية معينة للعالم تؤدي إلى مواقف فكرية وسياسية معينة أيضاً" (رسول، 1987، صفحة 18)، وكأي انطلاقة إصلاحية انطلق شريعتي في مشروعه الإصلاحية التجديدي الذي يقوم على جملة الاصطلاحات المختلفة أهمها:

- منهج التعرف على الإسلام: نظرا لما للمنهج من أهمية ودور كبير في إيجاد التقدم والانحطاط فإن علي شريعتي انطلق من المنهج كأداة حاسمة لنهضته الإصلاحية ذلك أن مسألة المنهج في التاريخ ذات أهمية قصوى وهذا بدليل تخلف أوروبا طيلة ألف عام وكان ذلك نتيجة المنهج العلمي المتبع فيها (منهج أرسطو القائم على القياس) وبالتالي فإن المنهج الصحيح في المعرفة العلمية أساسي للنهوض من أجل دراسة الإسلام بشكل صحيح وذلك عبر دراسة القرآن عن طريق دراسة المبادئ والآثار الفكرية والعلمية للإسلام من جهة. ثم استعراض المسيرة التاريخية للإسلام و التطورات التي حدثت فيه منذ بداية البعثة المحمدية إلى اليوم وما حدث فيها من جهة أخرى.

إن شريعتي في كتابه "منهج التعرف على الإسلام" يرى أن الاهتمام بدراسة القرآن ودراسة التاريخ الإنساني غير كافية وبالتالي فهناك منهج آخر لمعرفة الإسلام "هذا المنهج هو العلم عن طريق تصنيف القضايا والمقاربة

بينها وهو ما يعرف في علم الاجتماع (التبولوجي) وفي سبيل معرفة الإسلام تمكنت أنا أن أستفيد من هذا المنهج الذي يستخدم عادة في أوربا للتحقيق في بعض العلوم الإنسانية" (شريعتي، منهج التعرف على الإسلام، 2006، الصفحات 16-17). واستخرج شريعتي منها ما يمكن الاعتماد عليه في معرفة أي دين وهو معرفة الجوانب الخمسة لكل دين "الإله كل دين، نبي كل دين، كتاب كل دين، كيف ظهر نبي كل دين، تلامذة وحواريو كل دين"

- المؤسسة الدينية: يعود علي شريعتي لتاريخ الأديان فيبين أن من أهم عوامل انحراف البشر وتعرثر الرسالات السماوية هو تحول رجال الدين في فترة لاحقة إلى مؤسسة أو تحولهم إلى جزء مكمل لمؤسسة القمع الحاكمة، لهذا اتخذ شريعتي موقفا معارضا لوجود المؤسسة الدينية على النحو الذي أصبحت عليه في الفترات المتأخرة وأن رجل الدين يقوم باحتراف الدين كوسيلة للعيش وفي هذا يقول "بأن الإسلام الأصل نهض كثرة شعبية حيّة، نقيضه لمؤسسات القمع المتحجرة والإسلام لم يعترف بمهنة اسمها رجل الدين فحتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرب صحابته كانوا يعملون بأيديهم ويمارسون شؤون الحياة إلى جانب ممارستهم لشؤون العبادة" (رسول، 1987، صفحة 56).

- الاستحمار الديني: إن التعريف الجامع الذي يقدمه شريعتي للإستحمار قوله "هو دافع للانحراف أو ظلمة الذهن والهائه عن الدراية الإنسانية وإشغاله بكل حق أو باطل مقدس أو غير مقدس" (شريعتي، النباهة والاستحمار، 2004، صفحة 108) والاستحمار عند شريعتي على نوعين القديم والدافع الرئيسي له هو الدين والوسائل التي يعتمد عليها هي الزهد، الأخلاق، التصوف، الشعر، القومية، أما النوع الثاني فهو الاستحمار الحديث والدافع لهذا الاستحمار هو التشاجر والكذب ووسائله التقليد، الاتباع حرية المرأة، حرية الجنس... الخ. والدين الاستحماري هو ذلك الدين المضلل، الدين الحاكم الذي تستولي عليه القوات الاستحمارية المضادة للإنسانية وتتخذ الدين كوسيلة لاستحمار الناس سواء الاستحمار الفردي أو الجماعي، لكن ماذا يعمل هذا الدين المستحمر حتى يكون مستحمارا "يقول دع الدنيا فعاقبتها الموت! ادخر كل هذه الحاجات والمشاعر والأمنيات إلى الآخرة إلى ما بعد الموت! ليس الفاصل الزمني بكثير ثلاثون أربعون أو خمسون سنة لا قيمة لها! بعدها كل شيء تحت طوعك... وتكون من أولئك الذين هم فيها خالدون" (شريعتي، النباهة والاستحمار، 2004، صفحة 111).

ويقف علي شريعتي في مشروعه الحضاري عند مصطلح الإيديولوجيا كمفهوم يعني في مقدمة ما يعنيه "علم العقيدة"، المعنقد أو الإيديولوجي هو الشخص الذي يحمل العقيدة محددة أو مجموعة من المواقف الاعتقادية

اتجاه أمر أو مجموعة من الأمور "هي مجموعة معتقدات طبقة اجتماعية ما أو أمة من الأمم أو مجموعة من الناس وهي شكل من أشكال الفهم الإنساني للعالم وما يتعلق به من مواقف وأفكار وبخاصة على الصعيد الاجتماعي الذي يعيش الإنسان داخله" (قاسم، 2010، صفحة 38).

والدين باعتباره إيديولوجيا فهو دين يختاره الفرد أو الشعب أو مجموعة أفراد بصورة واعية وهذا على عكس الدين التقليدي فإن الفرد لا يختاره وإنما يجده في صورة سنن وعادات لأن الأديان الوراثية كلها متشابهة فالشيء الذي يتخذ وراثته ومن دون علم وبصيرة يكون مردود ولا فرق بين أن يكون مذهب للشيعنة أو السنة أو الدين المسيحي وهو عبارة عن دين لفن واستلم كمجموعة عادات وتقاليد أما الدين باعتباره إيديولوجية عقيدة منتخبة بصورة واعية وفقا للاحتياجات والإملاءات الموجودة والعينية، والجيل في هذا الدين الإيديولوجي هو جيل واعى يرفض السنن والحفائظ الموروثة اللاعقلانية "فشريعتي يريد الدين الذي يتجاوز العلم والفلسفة والصنعة حتى يكون دين المعرفة والتتبه، لا دين مجموعة من السنن الوراثية" (شريعتي، النباهة والاستحمار، 2004، صفحة 71).

ويتخذ علي شريعتي النموذج الإيراني فينجد أن الإيراني مثلا رغم أن دينه التقليدي الاجتماعي دين زرادشت، إلا أنه يتركه ويترك تقاليده وعقله الجمعي وينظم تحت لواء نماذج غير نماذج قوميته ويقبلها بصورة واعية ويعتقد بها، في حين أن لا علاقة لها أبدا بقوميته وعقله الجمعي ومن بين الأسباب في هذا: كان يتألم من الظلم وعدم المساواة في الطبقة، بينما يهتف الإنسان بشعار العدل وهو أول شعاره فقد كان يتألم من الحكومة الاستبدادية الأرستقراطية والانحصارية وشعار الإسلام الإمامة على أساس اللياقة والكفاءة ولهذا فقد وجد أمنيته في هذه الشعارات ونهاية لآلامه ومأساته فهو يختارها (شريعتي، الإنسان والإسلام، 2006، الصفحات 273-280) .

**3: الهيكلة النفسية للإنسان:** إن شريعتي في سعيه لبناء الذات الثورية خصص جزءا كبيرا من مجهوده لتربية إنسان مسلم ثوري جديد، واعتبر مهمة تهذيب النفس وتثويرها بل والشروع عنها أمرا ضروريا، ولكن لم يضع معايير مثالية وغير واقعية للإنسان، بل حاول باستمرار أن يحفظ توازن الإنسان في مختلف المجالات لأن الإسلام بنظره لا ينكر الغرائز ولا يكبتها وإنما ينظمها ويضع لها ضوابط. إن منطلق القرآن في فهم الإنسان متفق تماما مع هذا التفسير يقول الله تعالى: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" سورة الحجر، الآية 26. أي أن الله خلق الإنسان بالنسبة لاستعداداته وامكانته وتكامله في أعلى مرتبة علمية فالإنسان حسب فلسفة الخلق كما ذكرنا سابقا فهو بالفعل ظاهرة ترابية بيولوجية، أي أنه خلق من الطين وبالقوة هو ظاهرة سامية فوقانية أي أن روح الله قد نفخت فيه

والإنسان بإرادته يستطيع قطع المسيرة العلمية من التراب إلى الله بغية نيل الحرية التي يتحقق بها الجانب الإلهي في الإنسان. فالذي يجب أن يصير أولاً: موجود واع ثانياً: مختار، ثالث: مبدع، أما بقية مميزات الإنسان الأخرى فهي تتفرع من هذه الثلاثة وهي أن الإنسان: واع، مختار، ومبدع بالمقدار الذي يصل كل منا إلى مرحلة الوعي، وإلى المرحلة التي نتمكن فيها من الإبداع ومن أجل بلوغ هذا يتحتم علينا معرفة الأسباب التي تمنع الإنسان عن طريق "صيورته" لكي نستمر بإزالتها في حركتنا وهجرتنا الذاتية نحو تكامل الإنسان وصيورته. ومع الأسف فقد جعلت أنواع الجبر الأربعة "السجون الأربعة" هذا الوعي المختار المبدع في أسرها ومنعته من الوعي والاختيار والإبداع. (شريعتي، الإنسان والإسلام، 2006، صفحة 153) .

ويحدد شريعتي هذه السجون في: الطبيعة، التاريخ، سجن المجتمع، وسجن ذاته وهو أول السجون: أما بالنسبة لسجن الطبيعة فنرى أن الأفراد مسجونون ومقيدون وفق ظروفهم إذن فالإنسان مقيد بقوانين جبر الظروف الجغرافية، أي خضوع الإنسان لقوانين الطبيعة وسننها، كما هو حال جميع الكائنات الأخرى في هذا الكون. أما **سجن التاريخ** هي أن يشعر الفرد بإرادته في كيانه ولكنها أسيرة التاريخ وسجينته، فيكون الإنسان أسيراً للتاريخ لان تبعات الماضي تترك أثرها على شخصية الإنسان وهويته الحاضرة. أما **سجن المجتمع**، فبقدر ما يتدخل المجتمع في بناء شخصية الفرد ذلك الفرد لا يستطيع أن يسلك سلوكاً مغايراً، أو أن يتمرد من عادات ذلك المجتمع فهو يكون سجين ذلك المجتمع. أما **سجن النفس**: اعتبره شريعتي أشد السجون وأمنعها، إذ تنسجن في داخلها تلك الأنا الإنسانية الحرة وتشغلها عن المطالب السامية . أما انعتاق الإنسان من هذه السجون حسب شريعتي يكون عن طريق العلم ، فبالعلوم الطبيعية يمكننا التحرر من أسر الطبيعة وسجنها...وعن طريق فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع القائم على المنهج العلمي، وكشف القوانين والسنن التاريخية، يمكننا وإلى حد ما التحرر من أسر الجرب الاجتماعي والجرب التاريخي، ووحده العشق قادر على أن يحررنا من ذلك سجن النفس وهنا يجب التسلح بالعقيدة بالأشخاص الذين غيروا مجرى التاريخ كانوا قد تحرروا من سجون ذواتهم أولاً، على اعتبار أن " العلم يخدم الإنسان فقط من دون أن يحمل على عاتقه أي مسؤولية لإرشاده وإسعاده وإصلاحه ... في حين أن رسالة العلم الأكثر قدسية وفورية ومسؤوليته الأولى المقدمة على أي مسؤولية أخرى إنما هي إصلاح الإنسان ومعرفة الإنسان." (شريعتي، الإمام علي في محنة الثلاث، 2007، صفحة 18)

لكن إذ كان باستطاعة الإنسان أن يتحرر عبر العلم من سجن الطبيعة ومن سجن النظام السائد والثورة على الأصول الاجتماعية ، لكن للأسف لا يستطيع بالعلم الخروج من سجن نفسه لأنه هذا العلم هو نفسه سجن ونفس

هذا العلم هو علم سجين " (الصديق، 2006، صفحة 7). لهذا نجد أن اجتهاد شريعتي كله متركز على تحرير الذات لأنها أصعب العمليات وأهمها، فالإنسان بهذا استطاع أن يتمرد على السجون الثلاثة الأخرى لأنها خارجة عن نفسه ومتعلقة بالعالم، أما سجن النفس بما أنه جزء من نفسه ذاتها فلم يتمكن من التمرد عليها وهذا على حد تعبير توينبي: " قد بين التاريخ بأن أناسا تمكنوا من كبح جماح أهوائهم وغرائزهم عاداتهم لذاتهم الشخصية أدواقهم وجهاداتهم الفردية، واستعاضوا عنها بعقيدهم وإيمانهم بالآخرين وبالمجتمع، وبذلك تمكنوا لقرن من الزمن أو لجيل من الأجيال أن يوجدوا تاريخا خاصا" (شريعتي، الإنسان والتاريخ، 2006، الصفحات 93-94) . لهذا يبحث شريعتي عن وسيلة للتحرر من سجن النفس فيحدها في الحب بحيث أعاد شريعتي لهذه الكلمة وهجها وقوتها وهو يقول في هذا: " لا أعني الحب الصوفي و العرفاني وأمثالها التي هي سجون أخرى بهذا المعنى قوة قادرة أسمى من العقل الحاسب المصلحي، يجب أن تكون في ذاتي أنا الإنسان داخل فطرتي، تفجرتني وثيرني على نفسي من الداخل يجب أن يكون التمرد من الداخل لأن السجن الرابع في باطني يجب أن أفجر من الداخل يجب أن ألتهب". (الصديق، 2006، صفحة 8) .

هنا يتجسد خطاب القوة عند علي شريعتي بحيث يخاطب النفس بالعبارات الملاءة بالحرارة وانطلق شريعتي من الحب باعتباره أداة تعبر عن القوة هذه الأخيرة بالرغم من المنافع والمصالح التي تقوم عليها الحياة تدفع بالإنسان إلى التخلي عن كل منافعه الشخصية من أجل وجود الغير، إذن فالإنسان يتحرر من السجن الرابع بواسطة الحب (الدين) أي العقيدة، يعني أنه للتخلص من السجن الرابع، سجن الذات، يجب التسلح بالعقيدة، لا بالعلم، فعلى حد قول فرانسيس بيكون "استخدام القدرة لتسخير الطبيعة بل الاستعانة بدين ما فوق العلم الذي يعبر عنه توينبي". (شريعتي، الإنسان والتاريخ، 2006، صفحة 99) . وبناء الذات عند شريعتي عبارة عن إعدادها ثوريا في صورة أصالة وأهداف كأن يوهب الجوهر الوجودي للذات تكامله وأول طريقة أو خطوة في بناء الذات عند شريعتي "أن نقوم دائما بنقوية هذا الهاجس أو الخوف الداخلي في نواتنا من أن نسقط فريسة الاغتراب عن الذات وأعظم مصائب الاغتراب عن الذات عند مفكرينا، هو التقليد يعني سجن المرء في أطر حددت في غير حضوره" (شريعتي، بناء الذات الثورية، 2005، صفحة 24) . ويضع علي شريعتي الدعاء في مشروعه الثوري لكي يخرج من تلايب الاستكانة والهزيمة إلى دروع الانتفاضة والنهضة . فالدعاء هو رفيق النفوس وليس هذا فحسب بل هو العنصر الأساسي في كل مجتمع ينشد النهضة فكما أنه بمثابة عبادة وخضوع واطاعة فهو بمثابة أداة توازن وثقة ورقي في كل مجتمع على حد تعبير الكسيس كارل: "متى ضعف الدعاء في قوم وأهملت سننه كانت العلامة على

انحطاط القوم وعجزهم، فالمجتمع متى انصرف عن التعبد والدعاء أعد في نفسه مناخا لجرائيم الانحطاط والاضمحلال والضعف والعجز". (شريعتي، الدعاء، 2006، صفحة 13)

يركز علي شريعتي على جملة من العوامل في بناء الذات الثورية، بحيث يستوجب الاعتراف بأن الإنسان صاحب دور في مسيرته التاريخية وفي تغيير نظامه الاجتماعي، أي ضرورة الاعتقاد بوعي الإنسان وإرادته واعتبارها علة في مسيرة التاريخ الجبرية والتطورات الاجتماعية. فالإنسان لا يستطيع أن يبقى مخلصا وصادقا في ثورة اجتماعية حتى النهاية إلا أن يكون ثوريا قبلها ومتأسفا بعدها. فالإنسان بالمعنى العام ليس على الدوام وليد بيئته الطبيعية بمعناها المادي والجغرافي والتاريخ والمجتمع والبيئة الطبيعية. وضع أسسا ثلاثة لبناء الذات الثورية.

\*- العبادة : العبادة في الشريعة الإسلامية هي الهدف الأساسي من خلق الإنسان في القرآن الكريم يقول الله تعالى " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" سورة الداريات، الآية، 56 " المقصود بالعبادة هو الاتصال الوجودي المستمر بين الإنسان والله، الإله الذي هو منبع الروح والجمال والهدف والإيمان وكل قيمنا الإنسانية وبدونه يغوص كل شيء في مستنقع العبث واللامعنى والابتذال" (شريعتي، بناء الذات الثورية، 2005، صفحة 45) وضرورة العبادة اليوم ألح مما كانت بالماضي ، فبالأمس كانت برجوازية سوقية بدائية هي المسيطرة علينا، وقبلها "حكّم المجتمع إنتاج تقليدي زراعي دوري وساكن... أما اليوم، والرأسمالية نظام خليط من الاقتصاد والثقافة والسياسة وعلم الاجتماع والقوة العسكرية، ومثل شبكة سرطانية، لم تقسد الدنيا فحسب، بل أفسدت الإنسان، من الخارج ومن الداخل...". والعبادة فقط يمكنها أن تحمي الإنسان من إفساد حياته وذاته وإنسانيته، وتعيد ربطه بالقيم الإنسانية، وبالله، وتهبه ملاذا عظيما من هذا الانحلال والفساد.

\*- العمل: لقد رفع الإسلام من شأن العمل، حيث جعله بمنزلة العبادة، تتضح أهمية العمل في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة فهو بشكل عام يوحي بالعمل وبضرورته لأنه يعتبر عزة وكرامة ودرعا واقيا من الذل والهوان. لقد ركز شريعتي في تناوله للمسألة الحضارية على قيمة العمل ، مع الأخذ بعني الاعتبار كونه لا يفصل بني العمل الديني والعمل الفكري والعمل الاقتصادي... فأعظم قادة الفكر والأئمة الثوريين في الإسلام كانوا عمالا وهو ما يصدق على النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام وآل بيته الأطهار بل أن العمل "علامة الحياة ، فليس في الدنيا شيء ساكن لا يعمل فالأرض والكواكب تدور باستمرار تؤدي مهمتها دون توقف والحيوانات كلها في حركة ونشاط والنباتات لا تتوقف عن عملها أبدا حتى الصخور والأثرية قد تظن

أنها ساكنة دون حراك، لكن ذراتها تتحرك بسرعة فائقة لا يمكنك تصورها وهي تمارس عملها فكل ما هو موجود في هذه الدنيا قد كلف بالقيام بعمل ما". (شريعتي، الأخلاق للشباب والناشئة، 2006، صفحة 92)

\*- النضال الاجتماعي: لإنسان هو كائن سياسي... والصفة السياسية للإنسان معناها أن له رؤية وميلا واهتماما يربطه بمصير مجتمعه. ومن الخطأ تعريف الإنسان بأنه كائن اجتماعي، فالكثير من الحيوانات اجتماعية. و"نزع التسييس" من الإنسان يجعله شبيها بتلك الحيوانات. ويعد النضال الاجتماعي وجه من أوجه النضال السياسي ومن أعظم العوامل التي تكوّن الوعي الذاتي عند المفكر أي أن الإنسان بنضاله الاجتماعي يجعله يحس بالموقع في الطبيعة والمجتمع، يعرّف أفلاطون الإنسان بأنه حيوان سياسي وقد ترجمها مفكرنا بأنه "حيوان اجتماعي" لأنهم ظنوا بأن الصفة الجامعة للبشر هي الاجتماعية لا السياسية لأنه في هذه الحالة يكون السياسيون فقط هم البشر، أما سواء الناس الذين لا يعلمون بالسياسة أو يفكرون فيها، فهم ليسوا بشرا في حين أن الاجتماعية ليست صفة خاصة بالإنسان، لأن كثيرا من الحيوانات أكثر اجتماعية من الإنسان مثل نحل العسل، إن كون الإنسان سياسيا هو خاصيته، والمقصود بصفة السياسة الرؤية والميل الذي يربط الفرد بمصير المجتمع الذي يعيش فيه، وهذه الصلة هي موضع تجلي الإرادة والوعي والاختيار عند الإنسان بحيث يحس أن وضعه الاجتماعي مثل وضعه الطبيعي، أي أن يحس بموقعه في الطبيعة والمجتمع ويعيه جيدا ويتدخل فيه مؤيدا أو معارضا أو مغيرا لبنيته، وهذه الأمور المجتمعة تسمى نضال اجتماعي الذي بدوره يساهم في بناء النفس والذات الإنسانية الثورية. (شريعتي، بناء الذات الثورية، 2005، صفحة 76)

إن هدف علي شريعتي هو إعداد الإنسان الواعي، الحر، والمسؤول يعرف كيانه ويثبت وجوده فهو لا يعترض المشيئة الطبيعية ولكنه يريد من الإنسان أن يتعالى بإرادته أي أن يصبح بالقوة ظاهرة سامية ونفس الطرح نجده عند ابو القاسم حاج حمد، بحيث يقول "إن كل ما يطلبه الإسلام من الإنسان هو التعالي بإرادته ليعود فيتحكم في اتجاهات ونتائج الصيرورة والحركة في عالم المشيئة أي أن يصبح النظام الاقتصادي والاجتماعي خاضعا لإرادة الإنسان الكيفية التي يمنح بها القرآن هذه الإرادة الإنسانية وعيا خاصا بها تفترق به عن الاستجابة المادية الجدلية لشروط الواقع، أي مفهوم الاستخلاف بالإرادة الإنسانية على عالم المشيئة" (حمد، 2012، صفحة 62) فحرية الإنسان وإرادته إنما تكمن في ذاته بمقومات التكامل مع الكون كله والحرية هي المدى الذي يبلغه الإنسان في القدرة على التفاعل فالإسلام لا يتعارض مع عالم المشيئة وإنما يلغي خضوع واستسلام الإنسان في القدرة على التفاعل فالإسلام لا يتعارض مع عالم المشيئة وإنما يلغي خضوع واستسلام الإنسان لهذه المشيئة الطبيعية، إن

طرح شريعتي لقضية الذات الثورية وسعيه لتحقيق الانسان الواع صاحب الإرادة والحرية يبدو وكأنه يعيد طرح الوجودية ويعرف هذه الأخيرة بقوله: "الوجودية تعني أن ماهية العالم تسبق وجوده أي أنك إذا أردت صناعة أي شيء أو أي آلة وليكن فأساً مثلاً، فإنه سيوجد في الذهن أولاً، ماهيته ثم يصنع الفأس فحينئذ قد منحت تلك الماهية وجوداً أما الإنسان فإن وجوده يسبق ماهيته أي أن الإنسان كان خواء ولم يكن أي شيء وليس له أي معنى ومحتوى ولما اكتسب الوجود بدأ يبني شخصيته ويكون ماهيته بنفسه، فالإنسان هو الذي يعطي لنفسه المعنى والماهية والشخصية الإنسانية" (شريعتي، الإمام علي في محنة الثلاث -محنة التاريخ، محنة الشيخ، محنة الإنسان-، 2001، الصفحات 43-44)، إن الوجودية عند شريعتي هي دليل على أن الإنسان بعد أن يخلق بالمشيئة الإلهية، يبني كيانه وشخصيته بإرادته وحرية فالوجودية كمذهب جاءت لتعيد الاعتبار للذات الإنسانية وتجعلها فوق كل شيء وفي هذا يقول غارودي: "وهذا التأمل في الذات قد ملأ بالنشوة ذلك الجيل الذي لم يستطع إبان الحرب وفي فترة الاحتلال أن يشعر بكرامته الشخصية إلا بواسطة النفي والثورة". (غارودي، 1983، صفحة 18).

4- **الهيكلية الثقافية للإنسان:** إن شريعتي في عودته الغريبية للذات يرى بأن الثقافة هي من بين الجوانب المهمة التي تعرضت للمسح في شخصية الإنسان، أو يمكن القول أن الإنسان يصبح مغترب ثقافياً أي انتقال كل العقائد والقيم والثقافات من مجتمع إلى آخر وبهذا يحدث الاغتراب لهذا يسعى شريعتي للعودة إلى الذات الثقافية كحل لازم للاغتراب الثقافي.

أ- **الاغتراب الثقافي:** يرى شريعتي أن لفظ "Aliénation" يعبر عما يعتقد عامة الناس عن مرض الجنون، بمعنى حلول الجن في الإنسان أو ما يعرف بـ "المس بالجن" ويوضح شريعتي مفهوم الاغتراب كما يلي: "هو حلول وجود غريب (الشخصية أو هوية غير انسانية) في الإنسان بشكل يشعر معه بهذا الوجود الغريب بدلاً من شعوره بذاته وبالتالي يفقد نفسه أي شخصيته الحقيقية والطبيعية ويتمثل في كيانه نوع من المسح الماهوي" (راد و رضائي، 2009، صفحة 280). فالاغتراب لدى الإنسان الذي يتمسك بهويته وثقافته الوطنية أو القومية هو كل اتجاه يبتعد به عن هويته وثقافته، وهو كل ممارسة تدل على ابتعاد عن الهوية بكل مكوناتها اللغوية والدينية والتاريخية ناهيك عن كونه شعوراً وإحساساً بعدم الانتماء الثقافي إن كان ذلك احتقاراً للثقافة المحلية واستعلاء عليها أو إيماناً بعدم قدرة هذه الثقافة على تحقيق طموح علمي أو حضاري منشود. هكذا ظلت الأمة المسلمة منذ فجر الواقع الكوني وستبقى في هذه الدائرة لا تخرج عنها تعاني من فراغ اجتماعي، ينتج اغتراباً وفقداناً للهوية، فيكون



الفساد العريض واستنزاف الطاقات والجهود وتصل الأمة إلى التبعية المطلقة الذليلة، فالهوية في أية أمة من الأمم بدور العامل الحضاري الذي يمتدّ في أعماق الإنسان لكي يبعث فيه روح المسؤولية عن تقدم أمته.

إن علي شريعتي تحدث على أنواع كثيرة من الاغتراب غير أنه ركز على الاغتراب الثقافي ففي هذا النوع من الاغتراب تتغرب الأفكار والعقائد والقيم والثقافات التي هي وليدة الخصائص العرقية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية الخاصة وكل هذه الأمور تجسد الكيان الأساسي لكل مجتمع لهذا يرى شريعتي أن الاغتراب الثقافي هو الأخطر وعلاجه هو الأصعب، ولقد تطرق علي شريعتي إلى "الاستعمار" كأهم أوجه الاغتراب الثقافي فيقول: "لقد عرف الاستعمار أن اختراق صفوف الأمة التي تعتر بشخصيتها ليس بالأمر السهل، فالتاريخ والثقافة يبعثان في الأمة الشخصية والتعصب، وإذا أراد التغلغل في صفوفها فلا بد من عزلها عن تاريخها وتغريبها عن ثقافتها وعندما تشعر بأنها فاقدة للأصالة، مجتثة الأصول وذات شخصية مهزومة تقترب بنفسها مجبرة بوعي منها أو بدون وعي من الأوربي الذي يكون قد أصبح يمثل في نظرها في هذا الوقت الأصالة الإنسانية المطلقة وصاحب الثقافة والقيم المعنوية والكمال المطلق" (راد و رضائي، 2009، صفحة 284)

إن شريعتي هنا يرى أن الاغتراب الثقافي يحدث بسبب الاستعمار والأمة لن تكون مستقلة وهي في قبضة الاستعمار وهذا النوع من الاستعمار الثقافي يحدث عندما يشكل طبقة من أهل الأمة تكون حلقة وصل بين الاستعمار وأمتها وبهذا تحمل هذه الطبقة على عاتقها مسؤولية تغيير وتبديل أمتها عن طريق تخريب تاريخها ودينها وقوميتها وثقافتها وهكذا تكون الأمة قد سلمت نفسها فريسة للاستعمار ليقوم بنهبها وتصبح مروضة وخاضعة للعدو وتتمثل بأي شكل يريده لها الاستعمار من دون مقاومة أو كرامة ويعتبر علي شريعتي أن الاستعمار الثقافي أو الاغتراب الثقافي أسوأ بكثير من الاستعمار الاقتصادي فيكتب: "ليته كان قد نهب وابتلع جميع ثرواتنا ومصالحنا المادية ومصادرنا السطحية والجوفية في الشرق (آسيا إفريقيا، والبلدان الإسلامية) وأبقى علينا كبشر سالمين، لو كان الأمر كذلك لتمكنا من استردادها جميعا، ولما استطعنا الوقوف مرة أخرى على أقدامنا عندما نتاح لنا الفرصة لكن حينما نكون قد أضعنا ذواتنا فإننا نقدم أنفسنا قربينا للاستعمار" (راد و رضائي، 2009، صفحة 286). ما يمكن قوله هنا هو أن الاغتراب الثقافي أداة في يد الاستعمار يستخدمها في تحطيم كيان الفرد والمجتمع فمن أهم الآثار السلبية المترتبة عليه هي فقدان الشخصية أو الهوية الثقافية وظهور العزلة وعدم المشاركة في المسؤولية الجماعية وتمركز حول الذات والانغلاق في دائرة الأهداف والمصالح الشخصية دون المصالح العامة ورفض القوانين والمعايير الاجتماعية والثقافية.

ب - العودة إلى الذات الثقافية: يرى شريعتي أن أحد أهم عناصر العودة إلى الذات هو "الثقة بالثقافة الذاتية" بحيث يقول "من أجل أن لا نكون مقلدين بل منتجين اقتصاديين ولكي نحصل على استقلالنا على الصعيد المادي والاجتماعي والاقتصادي علينا أن نكون منتجين للفكر والثقافة وعلينا أن نستقل من ناحية الفكر والوعي والثقافة وهذا غير ممكن إلا أن يصحو المجتمع ويعود إلى ذاته". (راد و رضائي، 2009، صفحة 289). إذن فلكي يتأتى للمسلمين الخروج من وضع التصدع الثقافي الذي هم فيه لابد أن يضعوا لأنفسهم مفهوما جديدا للثقافة يكون ملائما لحالة التصدع التي يكابدونها، بحيث يجعل لها هذا المفهوم من قوة الاتصال ما تقدر به على رأب هذا التصدع حتى يكون هذا المفهوم الجديد أداة تصد وتدفع كل المضار المختلفة التي أضحت تواجههم وهذا المفهوم يجب أن يكون مفهوما تغييريا لا تجميديا وعمليا لا نظريا يقول طه عبد الرحمن "الثقافة هي جملة القيم تقوم الاعوجاجات الفكرية والسلوكية داخل الأمة على الوجه الذي يحدد اتصال الفكر والسلوك بأسباب هذه القيم في عالم الآيات وبالقدر الذي يمكن هذه الأمة من استرجاع قدرتها على الإصلاح والإبداع طلبا لتنمية الإنسان والارتقاء به في مراتب الكمال العقلي والخلقي" (الرحمن، 2005، صفحة 87)، إذن متى تحصل هذا المفهوم الجديد للثقافة أمكن التصدي لكل أنواع الاغتراب الثقافي وكذا المفاصد الثقافية. وشريعتي في إطار العودة إلى الذات يرى أنها ترتكز على أمرين هما "اكتشاف الذات" و"الإيمان بالذات" أما فيما يخص اكتشاف الذات أو معرفة الذات فيقصد به معرفة أي عرق أو قومية أو تاريخ أو ثقافة أنتمي، ومن ثم تأتي مرحلة الإيمان بالذات فبعد معرفة أي دين أو قومية أنتمي لابد من ضرورة الإيمان بها، وفي إطار هذه المعرفة والإيمان بالذات يقترح علي شريعتي مجموعة من العوامل والطرق التي يمكن من خلالها التخلص من الاغتراب الثقافي.

\* - حفظ وصيانة اللغة القومية: بما أن اللغة هي من أهم الخصائص التي تقوم عليها كل ثقافة من الثقافات فإن الحفاظ عليها يحفظ خصوصية كل ثقافة "اللغة والخط حلقة الوصل الكبرى بين الأصالة والمعاصرة وإذا تغيرت اللغة والخط ولم يستطع أحد قراءة خطه يصبح مجبرا على قراءة كتب أختيرت وأعدت بعناية في غضون سنوات على يد الاستعمار وهنا يستطيع الاستعمار صب هؤلاء الافراد في القالب الذي يحلو لهم حتى لو كانوا يمتلكون ثقافة ثرية". (راد و رضائي، 2009، صفحة 291)

\* - استخدام المنهج الصحيح في معرفة الثقافة: إن وجود منهج صحيح يلعب دورا كبيرا في عملية البحث والتنقيب عن المصادر والثروات البشرية والعلمية والثقافية ودراسة عوامل تخلف وانحطاط ونهوض وركود كل ثقافة وحضارة من الحضارات "عندما يكون هناك منهج صحيح تتحول حتى الخرافات والأوهام إلى عناصر توعوية.

\*- تنقية وغرلة المصادر الثقافية: إن من شروط الإيمان بالذات تنقية وغرلة المصادر الثقافية والتعرف على نقاط قوتها وتعزيزها وتبديل المواد الثقافية التي يسبب وجود أعراسا إلى طاقة بناءة تسير بنا نحو الأمام . فلا بد للأمة أن تجد في نفسها الجدارة لاكتشاف ثرواتها المعنوية والثقافية والعمل على تعزيز عناصرها الإيجابية ومعالجة الثغرات التي تعاني منها بمعنى أنه على الأمة أن تخرج مصادرها من حالة الركود والجمود وتحيلها إلى قوة وطاقة معنوية خلاقة من أجل البناء والإنتاج والحركة والصناعة المعنوية والأخلاقية للمجتمع.

\*- محاربة الخرافات والتقاليد الجامدة: يعتبر علي شريعتي أن مكافحة الخرافات والتقاليد المغلوطة هي من مستلزمات النوعية الثقافية وشروط النهضة، فهو يؤمن بضرورة مكافحة الخرافة والمخلفات البالية القديمة وجميع العوامل التي تعمل على إضعاف الأمة وإذلالها وتحجب رؤيتها وتحول دون الإبداع والصدارة والتحول الدائم والحياة المنفتحة.

\*- التعاطي الواعي مع الثقافات الأخرى: يرى شريعتي أن الاقتباس من سائر الثقافات وفتح الأبواب على العالم الخارجي لا يعتبران عاملا لمحو الذات وتغيير الهوية الثقافية بل ربما يكونان عاملا في احياؤها ولكن بضرورة معرفة ما يجب أخذه والاقتداء به ومعرفة ما يجب تركه والنفور منه "من لم يخرج عن نطاق مجتمعه ليتعرف على أمة أخرى ولم يمر أو يكتشف سائر البيئات والأديان والأعراق والأخلاق والآداب والفنون والفلسفات وتواريخ الأمم وكان حبيس محيطه فإنه بلا شك يكون غريب عن ذاته وعن كل ما تحمله تلك الذات والحقيقة إن تعرف البعض عن الآخر ينتهي بمعرفة الذات بمقدار ما يزداد فيه الوعي العالمي يصبح الوعي الوطني الذاتي أكثر عمقا وشفافية وتشعر كل أمة بذاتها بوضوح أكثر وطمأنينة أكبر". (راد و رضائي، 2009، صفحة 292)

5: الهيكلة التاريخية للإنسان: لا شك أن البعد التاريخي يمثل إحدى المميزات الأساسية التي ينسجم بها الوجود البشري فالإنسان بخلاف بقية الكائنات لا يعيش مغلقا في لحظته الحاضرة بل يستطيع العودة إلى الماضي لتمثل حوادثه أو التوجه نحو المستقبل لتجسيد طموحاته و لأن شريعتي يؤمن بالشخصية التاريخية للإنسان فإنه يرى من اللازم البحث في تاريخ الإنسان لفهم معادلتها النفسية والاجتماعية حتى يمكن التأثير فيه وقيادته نحو صناعة التاريخ. يعرف شريعتي التاريخ بقوله: "أمر إلهي محض بل إسلامي أصيل يقصد به الله عز وجل أنشأ المخلوقات و الكائنات كلها في الوجود وفيما يخص الإنسان فإن الرسالة الإلهية و الخلقية سلمت بيد الإنسان فهذا الأخير فوض من قبل الخالق جلا وعلا، وتهدف تلك الرسالة إلى بناء الذات، الذي يستعان بعامل التاريخ كأداة لتنفيذ

رسالته". (طوطاو، 2013، صفحة 518) فالتاريخ هو عبارة عن سلسلة الأحداث والوقائع التي تنتمي إلى ماضي الإنسانية وهو ما يثير إشكالية دور الإنسان في صناعة هذه الأحداث و الوقائع ، و يعرفه ابن خلدون ، بقوله: "نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخلق". (الجابري، 1992، صفحة 91) . إن التاريخ عند شريعتي، سير أفقي لبني البشر، يتأثر بجملة من المؤثرات، تجعله متصفاً بحيثيات اجتماعية، تعكس ذهنية الجماعة التي ينزل الحدث التاريخي ضيفاً عليها، فالحوادث الماضية التي يُسجلها التاريخ، في روحها، وجوهرها كلية ووحدة، تتقاطع فيها آمال وآلام البشر، وعرضياً تبدو مختلفة تبعا لأطرها الزمانية والمكانية، فهو سير نحو أفق محدد رسمته الطبيعة الإنسانية، وليس الإنسان، فالأصل في الطبيعة هو السير نحو الله في خط عمودي، عبر التعالي، والتجاوز لكل ما يربط الطبيعة بعنصرها المادي، والحيوي، وكما يصطلح عليه المفكر المغربي محمد لعزیز لحبابي بالتشخصن، فالتاريخ يطلب النموذج الكامل للجنس البشري، وشخصية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) المثال الأعلى، في التاريخ الإسلامي ترسم الهدفية المقصودة من الطبيعة البشرية.

وهنا نجد مفهوم التاريخ، مثلها بمعنى آخر، يؤكد على طبيعته، ويدخل في تركيبته الجوهرية، أعني القدرية أو الجبرية " الحتمية التاريخية ". فمن البداية علي شريعتي واضح إزاء هذا العلاقة، "ولا يعني هذا أنني لا أؤمن بالحتمية التاريخية، لكنني أريد فقط أن أقول " الإنسان هو الذي يستطيع - بقدر نضجه وتصميمه- أن يفرض إرادته على إرادة التاريخ، كما أن الطبيعة تجعل النبات والحيوان-نسبياً-تابعة لإرادة الإنسان وصنعه، هذا بالرغم مما لهما من حياة وحركة طبقاً للقوانين المسلم بها." (شريعتي، العودة إلى الذات، 2011، صفحة 102) فكون المظاهر الحياتية تسلمنا إلى الاعتقاد بتلازم لافتت بين انتظامات الوجود المختلفة، من طبيعة وإنسان، بما هو ظاهرة فريدة، كذلك الحال بالنسبة للصلة بين تأثيراته بنواميس التكامل والارتقاء، وبما هو ذاته تجليا لهذه العمليات التكاملية المختلفة، وإذن فالتاريخ مجال تسمتد منه الفاعليات المتنوعة، للفعل فيه ذاته.

إن الصيرورة تنشأ في التاريخ وبواسطته أي أن الإنسان يستعين بالتاريخ حتى يبنى كيانه وشكل إنسانيته، لكن في موضع آخر، نجد إيريك فروم، في كتابه "ما وراء الأوهام" يقول " إن ما يسمى بتاريخ العالم كله ليس إلا نتاج الإنسان من خلال العمل الإنساني و ليس إلا صيرورة الطبيعة بالنسبة للإنسان، وبذلك فإن لديه أيضا البرهان الواضح القوي عن ولادته من خلاله هو نفسه و عن عملية نشوئه" (فريك، 1994، صفحة 36). فالتاريخ من صنع الإنسان ونفس الطرح نجده عند جون بول سارتر ، الذي يؤكد على علاقة التاريخ بالإنسان فيقول " التاريخ

عامل ينفث الروح في الإنسان حتى و لو كان تمثالا دون وعي وأحاسيس، وينفث الروح فيه كل معاني الإنسانية " (شريعتي، الإنسان والتاريخ، 2006، صفحة 24) ، ونظرا لهذا الارتباط الوثيق بين الإنسان وتاريخه نجد أن الاستعمار يستغل وجود مثل هذه الثغرات خاصة في المجتمعات ذات الحضارة التاريخية حتى يفصل الجيل الحالي عن تاريخه وقد وفق إلى حد كبير في هذا الأمر لأن الجيل المعاصر لم تعد لهم أية صلة بماضيهم بل صبوا كل اهتمامهم على إحياء آثارهم الماضية التي لا قيمة لها و حتى أن بعض الشعوب التي كانت قد فصلت عن تاريخها وثقافتها قد تدهورت إلى مستوى أنها أصبحت أمم فاقدة للحضارة و الثقافة يقول شاندل: "إن أحد أوجه التمييز التي تميز المتحضر عن البدائي هو أن يكون له ضمير تاريخي ومعرفة بالتاريخ و عشق له، فالتاريخ حقيقة متعالية يستطيع أن يفهمها فحسب إحساس مهذب". (شريعتي، العودة إلى الذات، 2011، صفحة 213)

والإنسان بمعرفته للتاريخ يستطيع أن يقف بوجه الحتمية التاريخية التي كانت تفهم من قبل على أساس أن القضاء و القدر الإلهيين وهنا اتخذ التاريخ مكان الله وبعدها حلت أداة الإنتاج مكان المشيئة الإلهية و في كليهما يعتبر الإنسان العوبة فبمجرد إلغاء دور الإنسان في صنع مصيره وتاريخه تسلب منه الانسان المسؤولية التي تضم الحرية و الاختيار وهذه الحرية هي أداة تميز الفرد عن جميع الكائنات الحية يقول شريعتي "حينما يعرف الإنسان نوعية وتكوين التاريخ فإن تلك النوعية وذلك التكوين يرجع إلى قبضة الإنسان وقدرته بواسطة إدارته و بهذه الطريقة فالإنسان لم يكن ليعرف نفسه فقط بل إنه سوف يسعى لبناء نفسه أيضا وهذا المخلوق الذي كان مخلوقا لإقذار الطبيعة و التاريخ سوف يصبح خالقا لنفسه إليها للطبيعة و التاريخ و سوف تتحقق فيه مقولة خليفة الله في الأرض" (شريعتي، تاريخ الحضارة، 2006، صفحة 145) . يجعل شريعتي من الإدارة و القدرة التي يمتلكها الإنسان كسلاح قوي لصد جبر التاريخ شريطة أن يستند إلى أصول علمية تقوم على واقعيات العالم ، بانطلاق الإنسان من العلم عن طريق إيديولوجية التخطيط الاقتصادي والاجتماعي و الثقافي يستطيع أن يغير المصير الطبيعي و التاريخي لمستقبله" على كل حال سواء كنا دينيين او علمانيين وسواء كنا اشتراكيين أو ليبراليين ، ينبغي أن ننظر إلى الإنسان كإرادة ذات دخل وكعامل يستطيع أن يغير قدره التاريخي باستعداده الإلهي ، العلم و الخلاقية ومن هنا فإن الوعي فحسب هو الذي يستطيع أن يغير المصير". (شريعتي، العودة إلى الذات، 2011، صفحة 192).

إن علي شريعتي في عودته إلى الذات الإسلامية، يرى بضرورة المرور على التاريخ و فلسفة مساراته، من أجل معرفة ماذا حصل من قبل، واتبع في هذا منهجا متميزا في علم اجتماع المعرفة و علم الاجتماع الديني و علم الأديان المقارن و علم الاجتماع بصورة عامة، كل هذا من أجل العودة الغربية، وفي هذه النقطة بالذات ، انتقد

علي شريعتي بعض المذاهب التاريخية التي تقوم على أساس واحد للتفسير، فلا يمكن معرفة المجتمع بمعرفة دينه فقط وفكره كما ذهب ماكس فيبر أو بمعرفة عرقه كما ذهب الفاشيون أو بمعرفة بنيته الاقتصادية كما ذهب الماركسيون، و إنما بمعرفة المجتمع لكل العوامل المشتركة، لهذا يرى شريعتي أن فلسفة التاريخ آلية من الآليات الضرورية في العودة إلى الذات ، إن فلسفة التاريخ عند شريعتي تقوم على جدلية التفاعل و التضاد " إن فلسفة التاريخ، إذا عند شريعتي تفسر التاريخ استنادا إلى قانون الصراع الطبقي، فجميع أحداث التاريخ يمكن ردها إلى هذا القانون، هناك إذا منطق يحكم التاريخ ويجعل أحداثه معقولة وقابلة للتعليل و الفهم و التفسير" (طوطاو، 2013، صفحة 521) . إن قانون الصراع هذا يقوم على أن المجتمع يتكون من قطبين أو بالأحرى دورتين هما الدورة الهابلية والقابلية يقول شريعتي " حينما نقول تاريخ الإنسان نقصد هابيل و قابيل، حيث أن هابيل يمثل مظهرا لفترة الوعي و الاشتراك العام بين جميع أفراد المجتمع في الماهب المادية و المنابع والإنتاج أما قابيل يمثل فترة الملكية الفردية ومرحلة المصالح الفردية للإنسان". (شريعتي، تاريخ ومعرفة الأديان، 2008، صفحة 583) .

\*- **الدورة الهابلية:** نسبة إلى "هابيل"، الابن الطيب "لآدم" الإنسان الأول، وهو في خطاب شريعتي أحد نظائر الحقيقة. لم يرد ذكر " للدورة الهابلية" - لفظاً - إلا في كتاب واحد من كامل مدونة شريعتي، وهو كتابه الضخم "تاريخ الحضارة" في جزئه الأول، وكذلك الأمر بالنسبة للدورة القابلية. وفي حديثه عن هذه الدورة الهابلية شريعتي يتحدث الدورة الذهبية التي قال أنها المشترك الجامع بين الأساطير ويصفها بـ"الاشتراكية الأولية، إذ تعتبرها دوره ذهبية من ناحية العلاقات والروابط الخالية، ففي الدورة الاشتراكية الأولية كانت القبيلة تمتلك تعبيراً واحدة وهي "نحن" (الناس أو المحكوم) حيث العلاقات الاجتماعية تكون علاقات متقابلة وأخوية لا طبقية فيها، كونها تجسيد للتوحيد الاجتماعي، وتجسيد للحقيقة أو ما ينبغي أن يكون. إذن أن ميزتها مختصرة في تساوي الروابط، وعدم وجود الطبقات حيث كان الناس متساوون مقابل الطبيعة من الثروات المالية وجميع الإمكانيات الاجتماعية و التوليد الاقتصادي هذا لأن الإمكانيات الاقتصادية كانت مأخوذة من الطبيعة أما بالنسبة للإمكانيات الاجتماعية فكانت متساوية لأنه لا توجد طبقات وأنظمة مقابل أخرى ، لأن المجتمع فيها لم يكن مشخصاً، أي لم يكن متعينا، وكذلك مؤسساتها الحكومية والدينية والأمنية والاقتصادية، كلها لم تكن مشخصة. ينفي شريعتي هذا التعدد المؤسساتي عن الدورة الهابلية، ويقول: "(...) كل واحدة من هذه المؤسسات تتجلى في الفرد نفسه، فالفرد يعمل ويؤد أي ينتج" ويؤدي الواجبات المذهبية والتربوية بنفسه. " (شريعتي، تاريخ الحضارة، 2006، صفحة 208)

\*- **الدورة القابلية:**

نسبة إلى " قابيل" الابن الشرير " لآدم " وتبدأ الدورة القابيلية بعد قتل قابيل لأخيه هابيل ، وبدايتها تنتهي دورة " تساوي الروابط" و" الأخوة" والاشتراكية الأولية" و"عدم وجود الطبقات"، ليحل محلها تعدد الطبقات، بل طبقتين متصارعتين: "واحدة حاكمة، وأخرى محكومة." وتتمثل هذه الدورة في الحقبات البدائية وهي تمارس السلطة وتحتوي في داخلها الأبعاد الثلاثة (الملك، المالك، الأرستقراطية) . ويرمز القرآن الكريم لهذه الثلاثة: بفرعون للسلطة السياسية الحاكمة، وبقارون للسلطة الاقتصادية الشرهة، وبلعام بن باعوراء للسلطة الدينية الرسمية. ويشكل هؤلاء المظهر الثلاثي لقابيل. ففي الدورة القابيلية تتغير تلك الخصوصيات التي كانت في الدورة الهابيلية فالتوليد والإنتاج يخرج من حالته الطبيعية إلى حالته الصناعية. أما حالات العمل فإنها تصبح معقدة ونتيجة لهذا التعقيد فإن النظام الاجتماعي يظهر إلى الوجود بمعنى أن روابط الأفراد تصبح انشعابية أكثر، وهذا الأمر يؤدي إلى بروز الطبقات في المجتمع و يخلق مؤسسات جديدة وهذا الأمر يؤدي إلى تغير الروابط الإنسانية ومن ثم فإن الأخلاق تتغير وتتعرض للانحطاط و الفساد يقول شريعتي " إذن كل المجتمعات التاريخية منذ أن بدأت خطوتها سواء تحددت على أساس قومي سياسي أو اقتصادي إنما قامت على تجاذب طرفي تناقص كامن في صميم النظام، فهاتان الطبقتان المتنافرتان (الملك، المالك، والأرستقراطية الدينية) من جهة و (الناس، الله) من جهة ثانية... بهما يقوم التاريخ". (الجبران، 2002، صفحة 76) فشريعتي يعتقد بأن التاريخ كإنسان يبدأ بتناقص، لهذا ينقل قصة هابيل و قابيل كأكبر دليل على تناقص الإنسان مع الإنسان وأول تناقص للبشر هو بداية للتاريخ وبهذا يكون التاريخ ذات بداية ونهاية أي ينطلق من نقطة وينتهي في أخرى. في هذه الدورة القابيلية تحل "الروابط الثنائية" محل تساوي الروابط. هذه الروابط الثنائية "تعكس على مبدأ التوحيد الأولي ، ويصبح الشرك بكل تجلياته هو المسيطر على التاريخ: يحل الشرك الاجتماعي محل التوحيد الاجتماعي. ويصبح التاريخ تاريخ صراع لا يتوقف بين طبقتين: طبقة حاكمة يختزل فيها شريعتي كل صفات الظلم والقهر والاستبداد والفساد، أي باختصار كل صفات "الواقع" في تنافيه مع "الحقيقة". وطبقة محكومة تتعرض لكل ما تتصف به الطبقة الحاكمة. لا يوجد وسط: إما هذا ما ذاك.

في هذا السياق يشير علي شريعتي إلى أن نقطة الانحسار الحضاري عند شريعتي بمقتل هابيل على يد قابيل، وبداية الصراع والتضاد، وإنهاء الاشتراكية البدائية والعدالة الاجتماعية، وهذا يدشن برأيه بداية صراع "الدين ضد الدين"، دين التوحيد الذي يمثل أيديولوجيا هابيل بوحداية الله، ضد دين الشرك الذي يجسد اجتماعيا ما يسميه بـ"التعدد الاجتماعي"، كما أن الانقسام الطبقي "الهابيلي" و"القابيلي" صاحبه انقسام في الرؤية الكونية والتي انعكست بدورها إلى ما يسميه بـ"الثنائية الإلهية" كما هو الحال في العقيدة البوذية. الخ، ويتتالي بعدها التبديل إلى ما يطلق

عليه بـ"التثليث"، وهو ما يراه في الوجوه الثلاثة لمنشأ النظام القبائلي: الوجه السياسي، والاقتصادي، والديني، وبذلك تتألى المسيرة عند شريعتي من التوحيد إلى الثنائية ومن ثم التثليث، وتنتهي المسيرة إلى التوحيد المادي من قبل البرجوازية وباستخدام ما يسميه بـ"العلم التبريري"، أي بتبرير سيادة السلطة والاستهلاك وانحطاط الروح الإنسانية.

## 6- خاتمة

في ختام هذه الدراسة يمكننا القول بأن التجديد الحضاري في مشروع علي شريعتي الإصلاحية لا يتأتى إلا في ظل مقولة الإنسان وما يتوفر عليه من إمكانات، وذلك بإحداث توازن بين مجموعة من الشوط منها: القيم المتفاعلة المادية، الإيمان، وخصوصا العمل، كعنصر موجه مهمة الإنسان في كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية... الخ إذ أن تحقيق توازن الإنسان لا يكون إلا بوعي الفرد والمجتمع بحقيقة تركيبته المتوازنة، وهي حقيقة مستمدة من الرؤية الإسلامية في بعدها التوحيدي. ويمكننا استجماع نتائج هذه الدراسة في النقاط التالية:

- إن المتتبع لرحلة شريعتي الفكرية يدرك تماما أنها كانت رحلة هادفة تعج بالمضامين والرسائل الإنسانية دفاعا عن القضايا البشرية والتي تبحث عن الخطاب الحق، هذا الخطاب عند شريعتي هو دعوة لاكتمال مكان النقص في الإنسان بعيدا عن أوجه الظلم والتسلط والاعتراب، وهذه الأوجه هي من مخلفات النموذج الغربي الذي جعل من الإنسان وسيلة لا غاية وانطلاقا من هنا سعى شريعتي لإعادة الاعتبار لمكانة الإنسان وقداسته وتعالبه عن السلب والتهميش الذي خلقه بنفسه، إنها محاولة جديرة لإبراز مكانة الإنسان وتأصيله روحيا وماديا.
- ركز شريعتي على أنه يجب بناء الإنسان الجديد القوي بمعرفته لذاته ولغيره والمدرک لدوره والمؤمن لأهمية رسالته ولا يكون هذا إلا بالتركيز على التجديد والتغيير فيما يتعلق بالجانب النفسي للإنسان لأن معجزة التغيير مستوطنة في نفسية الفرد لا فيما يحيط به من وسائل مادية، لأن الإنسان إذا تعرف على ذاته يستطيع أن يجد مكانه المناسب في خريطة التطور الحضاري للمجتمعات والأمم.
- تتحقق فعالية الإنسان الحضارية حسب شريعتي بالاعتماد على القدرات الذاتية والإمكانات المتاحة مهما كانت بساطتها لأن الحضارة ما هي إلا نتاج قدرة الإنسان على صنعها، فإذا اتسم سلوك الإنسان في أي أمة بالفاعلية، كان النهوض الحضاري لهذه الأمة، أما إذا انعدمت فاعلية الإنسان وتوارى جهده فإن مستقبل الأمة لا يحمل لها إلا التخلف والانحطاط، لهذا يرى شريعتي أن الإنسان في الأمة الإسلامية هو مدار الحركة الحضارية.



- يرى شريعتي أن الأمة الإسلامية- وفق الرؤية القرآنية للإنسان- قادرة على أن تنهض من تخلفها وعجزها وهوانها و واقعها الراهن، والطريق الصحيح للخروج بالأمة الإسلامية من دائرة التخلف أن نعود إلى منهاج الإسلام في التغيير الحضاري فنقوم بتفجير الطاقات الكامنة في الإنسان المسلم وعندها نمثلك القدرة على القفز فوق كل الحواجز لتحقيق التقدم والانجاز الحضاري، والأمة الإسلامية لن يكون لها مكان على خريطة المستقبل ما لم تخلق الإنسان الصانع للحضارة.

- يرى شريعتي قاعدة ووعي الإنسان المسلم وبمكانته وفق الرؤية الإسلامية ، هي من بين العوامل الفاعلة في النهوض بالعالم الإسلامي ، واخذ الطريق نحو التقدم والحضارة والريادة، وهذا لن يتأتى غلا بعد بتر التبعية العمياء للغرب ، والتأكيد على ضرورة الاقتباس الواعي. وفي مقابل هذا يجب تسخير القوى المتاحة أي أن تتصرف الأمة الإسلامية في حدود ما تملك فقط وتطوره، ولا أن تتأمل بما هو خارج عنها فتسقط فريسة الاغتراب والاستعمار والاستحمار وغيرها من أوجه الاستلاب الغربي.

لقد أولى شريعتي التنمية اهتماما كبيرا بوصفها أحد أشكال التغيير الاجتماعي، وبين أنها تحديد نقطة مثالية والسعي لتوجيه وسوق الفرد والمجتمع نحو ذلك الهدف المستقبلي، وفي هذا الإطار يحدد شريعتي الشروط والإمكانات والعوامل الخاصة بالمجتمع الطامح لإحداث التنمية ويرسم الخطوط العامة لرسالة المثقف الديني الذي يحمل على عاتقه مهمة تحليل الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمعات الإسلامية كما تلقى عليه مسؤولية معرفة الذات ومعرفة العالم وحضارة الغرب، وتنقية وغريلة المصادر الثقافية وأدلجة الدين أو بعبارة واحدة تشخيص الثغرات التي تصيب الحركة النهضوية في العالم الإسلامي. كما يعتقد بأن صناعة المجتمع المثالي أو النموذجي تعبر عن حاجة فطرية عند البشر، ويقول بأن الحضارة الغربية المعاصرة ليست حضارة مثالية وأنها عاجزة عن تحقيق هذه الغاية، ويعتبر بأن التمسك بالإسلام هو الطريق الفعلي الحق لتأسيس المجتمع المثالي باعتبار الإسلام إيديولوجيا وعن طريق القيادة الملزمة يمكن صناعة الإنسان المثالي وعن طريق المشاركة الفعالة للناس أيضا. ويمكن إيجاز دور شريعتي الفكري حسب قول فخر الدين الحجازي بقوله: "كانت حياته بركة للإسلام، وكانت للمسلمين وعيا وثورة، وكان موته فاجعة، وبعد موته صارت شهادته حضورا مع الأمة فرحمة الله وسلامه عليه".

- أبو قاسم حاج حمد. (2012). *حرية الإنسان في الإسلام* (الإصدار 1). بيروت: دار الساقية.
- إيريك فريك. (1994). *ما وراء الأوهام* (الإصدار 1). (صلاح حاتم، المترجمون) سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- الشريف طوطاو. (2013). *فلسفة التاريخ عند علي شريعتي*. تأليف ضمن كتاب جماعي، *فلسفة التاريخ* (الإصدار 1، صفحة 518). بيروت: دار الروافد الثقافية.
- بدران بن الحسن. (1999). *الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري - نموذج مالك بن نبي* - (الإصدار 1). قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- جميل قاسم. (2010). *علي شريعتي المحجرة إلى الذات*. بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
- جيلالي بوبكر. (2011). *الإصلاح ونظرية الحضارة في فلسفة محمد إقبال* (الإصدار 1). الجزائر: منشورات دار ابن طفيل.
- روجي غارودي. (1983). *نظرات حول الإنسان*. (يحي هويدي، المترجمون) القاهرة: الترجمة العربية للكتاب.
- شافية الصديق. (2006). *الجهاد الفكري الفردي - شريعتي، محمد إقبال، مالك بن نبي* - (الإصدار 1). الجزائر: دار قرطبة.
- طه عبد الرحمن. (2005). *الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري* (الإصدار 1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد الرزاق الجبران. (2002). *علي شريعتي وتجديد الفكر الديني - بين العودة إلى الذات وبناء الإيديولوجية* (الإصدار 1). بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.
- علي شريعتي. (2005). *بناء الذات الثورية* (الإصدار 1). (ابراهيم دسوقي شتا، المترجمون) بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.
- علي شريعتي. (2006). *الدعاء* (الإصدار 1). (سعيد علي، المترجمون) بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.
- علي شريعتي. (2004). *النباهة والاستحمار* (الإصدار 1). (هادي السيد ياسين، المترجمون) بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.
- علي شريعتي. (2011). *العودة إلى الذات*. (إبراهيم الدسوقي شتا، المترجمون) بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- علي شريعتي. (2001). *الإمام علي في محنة الثلاث - محنة التاريخ، محنة الشيخ، محنة الإنسان* - (الإصدار 1). (علي الحسيني، المترجمون) بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.
- علي شريعتي. (2006). *الأخلاق للشباب والناشئة* (الإصدار 1). (موسى قصير، المترجمون) بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.

- علي شريعتي. (2006). الأمة والإمامة (الإصدار 1). (حسين علي شعيب، المترجمون) بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.
- علي شريعتي. (2006). الإنسان والتاريخ (الإصدار 1). (خليل علي، المترجمون) بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.
- علي شريعتي. (2006). الإنسان والإسلام (الإصدار 1). (عباس الترحمان، المترجمون) بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.
- علي شريعتي. (2006). تاريخ الحضارة (الإصدار 1). (حسين نصري، المترجمون) بيروت: دار الأمير للثقافة و العلوم.
- علي شريعتي. (2006). منهج التعرف على الإسلام. (عادل كاظم، المترجمون) بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.
- علي شريعتي. (2007). الإمام علي في محنة الثلاث (الإصدار 2). (علي الحسيني، المترجمون) بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.
- علي شريعتي. (2008). تاريخ ومعرفة الأديان (الإصدار 1، المجلد 1). (حسين النصيري، المترجمون) بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم.
- فاضل رسول. (1987). هكذا تكلم شريعتي (الإصدار 3). بيروت: دار الكلمة للنشر.
- فيروز راد، و أمير رضائي. (2009). تطوير الثقافة - دراسة اجتماعية في مفهوم التنمية الثقافية عند علي شريعتي (الإصدار 1). (أحمد الموسوي، المترجمون) بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
- فيصل عباس. (1992). الفلسفة والإنسان - جدلية العلاقة بين الإنسان والحضارة - (الإصدار 1). بيروت: دار الفكر العربي.
- محمد عابد الجابري. (1992). فكر ابن خلدون: العصبية - و الدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي (الإصدار 5). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.